الإتجاه الفقهى من التفسير 
نضاله وتطوره

الدكتور عبد الرزاق هرماس
تارودانت

الإتجاه الفقهي أو تفسير آيات الاحكام هو الاتجاه الذي يهتم بتبني آيات الأحكام في القرآن، vìستنبث مختلف مساعديه وبين معانيها.

عرفه محمد طفي الصباغ بأنه: "التفسير الذي يولي موضوع الأحكام الفقهية عناية خاصة" (1)، وعرفه د. نور الدين عصر بأنه: الذي ي وعن فيه بدراسة آيات الأحكام، وبيان كيفية استنباط الأحكام منها. وهذا التفسير بهذه الصفة يتميز بمزيد من دقة الفهم، وعمق الاستنباط، ويسمح بإعمال الذهن في المناقشة والموازنة بين الآراء الأكبر من غيرهم مما يجعل له أهمية أكبر، ويلزم بالالتمام به أكثر (2).

ففقهاء المفسرين الذين صنعوا في هذا الاتجاه داروا في كتابهم على تتبيع آيات الأحكام في القرآن مبينين دلالاتها، مستفسرين عما تضمنته من فقه، دعاهم في ذلك الرجوع إلى المنقول مع اعمال النظر والأجتهاد ومراعاة ما تقتضيه قواعد التفسير وأدابه.

قال أبو عبد الله القرطبي (ت 671 هـ) "في مقدمة الجامع لأحكام القرآن": …
واعتبرت من ذلك تتبين آي الأحكام بمسائل تسفر عن معناها، وترشد الطالب إلي مفتاحها، فضمنت كل آية تتضمن حكما أو حكيمين فما زاد مسائل نبين فيها ما تحتوي عليه من أسباب النزول وتفسير الغريب والحكم (3).

1. الصباغ، محاولات في تعلم القرآن، واتصالات التفسير من 226، طبعة المكتب الإسلامي بروت. 
2. د. نور الدين عصر، علوم القرآن الكريم من 103، الطبعة الأولى 1414 هـ، دار الخير الدولي.
3. القرطبي، الجامع لأحكام القرآن ج 1 من 3 مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية بتصميم أحمد عبد العليم البرذوني.
المبحث الأول
نشأة الاتجاه الفقهي في التفسير

ترجع نشأة الاتجاه الفقهي في التفسير إلى الفترة التي نزل فيها القرآن وطول الناس باختلاع تصوراتهم وسلكياتهم لاجهادهم، حيث تبني صلى الله عليه وسلم والصرد الأول من بعده على التفكيك في كتاب الله، واستنباط تشريعاته...

وبعد الصدر الأول توالى اجتهاد المفسرين من مختلف الطبقات، وتوجهت جهودهم لنتبغ الاحكام حتى غدا البحث في فقه القرآن جزءاً من علم التفسير.

على أنه تنبغي الإشارة إلى أن التأليف في الاحكام تدرج في مسلكين:

الأول: عليه أكثر المصنفات، اهتم فيه المفسرون بدراج مختلف ما استنبطوه من فقه الآيات في مسائل مربوطة فيذكروه المفسر الآية ويعبِّر عليها بذكر عدد مسائلها، وقد يعرض ضمن ذلك لأسباب النزول والنظير وغيرها... ثم يورد استنباطات العلماء قبله وما استنبطوه هو نفسه، مرتباً تلك المسائل في تسلسل...

المسلك الثاني: نهجه بعض فقهاء المفسرين كتب بكر الزراي الجصاص ت-3870 ويعتبر الترويب الفقهي الذي يقضي الترويب للآية بما بين موضوعها، وقد تأتي ترجمة الباب بصيغة خبرية عامة تدل على محتوئه، وقد تكون الترجمة بصيغة السؤال أو مفردة لحكم، وقد تكون ترجمة الباب تقرر لما ترجع في مذهب المصنف بشأن فروع من فروع الفقه.

المطلب الأول: الاهتمام بالتصنيف في أحكام القرآن

كان العلم بفقه آيات الاحكام غاية ما حرص عليه الامام والعلماء قديماً وحديثاً، وذلك أن هذا العلم يوفق صاحبه للعمل الصالح ويوهله ليصبح أسوة الناس وقدوتهما في دينهم ودنياهما.

وكلما اهتم المتقدمون بنتبع فقه أحكام كتاب الله، اهتموا بالتصنيف في هذا العلم فأخرجوا للناس مؤلفات موسوعية جمعوا فيها مسائل الخلاف وضمنها مختلفة ما استنبطوه من فروع.

4. انظر ذلك بتوسع في: التفسير والمفسرون الذهبي ج2 ص324 وما بعدها، الطبعة الثانية 1396 هـ، دار الكتب الحديثة القاهرة.

5. ذلك أن تفسير آيات الاحكام لم يقتصر على كتاب التفسير الفقهي فقط بل اهتم بها عامة المفسرين آيا كانت اتجاهاتهم.
ويحكم أن العلم يفقه كتاب الله هو ذروة ما يبلغه العالم، فقد كان ديدن الأئمة وما فيهم العلماء الخرخ على الاستزادة من هذا الفقه.

قال الشافعي (ت. 204 هـ): رحمه الله:

"... فإن من أدرك علم أحكام الله في كتابه نصاً واستدلالاً ووفقة الله للقول والعمل لما علم منه - فاز بالفضيلة في دينه ودنياه، وانتفعت عنه الريب، ونورت في قلبه الحكمة، واستؤنب في الدين موضع الإمام، فنسال الله المبتدئ لنا بنعمة قبل استحقاقها، المدين بها علينا مع تقصيرنا في الاتباع على ما أوجب من شكره لها، الجا علنا في خير عارج للناس - أن يرزقنا فهماً في كتابه ثم سنة نبيه صلى الله عليه وسلم، قولاً و عملاً يؤدي به عنا حقه، ويوجب لنا نافذة مزيدة، فليست تنزل باحد من أهل دين الله نازلة إلا وفي كتاب الله الديال على سبيل الهدى فيها...".

وبعد عصر أثنا الاجتهاد - خلال القرنين الثاني والثالث الهجريين - اتجه طائفة من فقهاء وجزئي مختلف المذاهب الفقهية إلى تصنيف تفسير مجرد للاحكام، وأتسعت دائرة هذا التأليف مع الزمن حتى وجد من فقهاء الفقهيين من صنف في أحكام القرآن موسوعات لاتكاذ تختلف عن آهات مصادر الفقه الإسلامي.

المطلب الثاني: الخلاف في تفسير آيات الإحكام

كان للمذاهب الفقهية أثر في توجيه وتطور الاتجاه الفقهي في تفسير القرآن، ظهر ذلك الأثر من خلال:

1. ما حوته مختلف كتب آيات الإحكام من فروع المذهب الذي التزم به مصنفوها.
2. العديد من مباحث الخلاف العالي - الفقه المقارن - التي تضمنتها هذه التفسير.
3. كما ظهر ذلك الأثر من خلال الكثير من المناظرات الفقهية الطريقة التي اجتهد مفسرو المذاهب في تدعي أراء واختيارات مذاهبهم فيها، وإن كانت هذه المناظرات الفقهية لا تخلو من تصعيد أحيانا.

ويرجع أثر الخلاف الفقهي في تفسير آيات الإحكام الى الفترة التي نشأت فيها المذاهب نفسها. فهي بعد وفاة الرسول صلى الله عليه وسلم اشتهرت عن أعلام أهل العلم.
الصحابة رضي الله عنهم طرق مختلفة في الاجتهد واستنباط الأحكام من الكتاب والسنة وخلاف من بعد الصحابة جيل التابعين الذين حذوهم من غير أن يكون اختلاف الطبقتين مدععا لظهور المذهبية (7)، ويبداء من القرن الثاني بدأت بواحد نشأة المذاهب وذلك راجع لأسباب حررها العلماء حين ألفوا في تاريخ الفقه والتشريع.

وحين نرجع إلى نشأة وتطور مختلف المذاهب المعروفة نجد كل واحد منها درج على منهج محدد في استنباط الأحكام من الوحي كتبًا وسنة.

ولا شك أن دلالة النصوص القرآنيّة لا تظهر بصورة شاملة الحكم في كثير من الأحوال، كما أنها لا تدل بصورة قطعية على الأحكام في بعض الأحوال.

كما أن السنة النبوية ليست على درجة واحدة في الثبوت عن الرسول صلى الله عليه وسلم، بل هي تتفاوت بين الصحة والضعف، فكان لزاماً لنآ أراد استنباط الأحكام الشرعية أن يأخذ بالكتاب والسنة معاً، فكلاهما مبين للذكر بالنصوص والعهوم أو الإطلاق والتقييد وغير ذلك (8).

وظاهرة اختلاف الأئمة الأعلام في استنباطاتهم الفقهية عرض لها الأصوليون في مصنفاتهم ضمن مباحث "أسباب اختلاف الفقهاء" (9).

فلمما انتشرت المذاهب الفقهية التي لا زالت باقية - عمداً تمائم كل أمام من الأئمة المجتهدين إلى استنراج وجمع منهج أتمهم في الاجتهاد وطابقون على النوازل التي عرضت لهم (10).

وعندما ابتدا التصنيف في التفسير الفني، خاصة - كف فقهاء المذاهب يستخرجون مسائل آيات الأحكام طبقًا لأصول المذهب الذي اتبعوا به، وقد قاد

7. انظر ما أوردته ابن عبد البر في النوري 1464هـ، عن مذاهب الصحابة والتابعين ضمن التمهيد لما في الوضوء من الفقه والاسئلة ج1 ص 10.
8. فيدر أورن، انتقالات التفسير في القرن الرابع عشر، ج2 ص 416، الطبعة الأولى 1407هـ.
9. انظر في ذلك الشيخ محمد حسين مختار، ابن نعمي، رفع العلم عن الإماء، دار الفكر، بيروت، 1403هـ، وانظر فيما كتبه العلاويون في التخلف في القوانين الإصولية في اختلاف الفقهاء، لحداث بحري، مصطفى الدين، الطبعة الأولى 1408هـ، مؤسسة الرسالة بيروت، بصحر الجواهر، بحقق الجهاد والتقليدم، محمد الحناوي، الطبعة الأولى 1415هـ، مطبخ الحديث القاضي.
10. انظر. عم/de، مصادر تاريخ المذهب المالكي بالقرح الإسلامي ص 7، وما بعدها منشورات عكاظ، الرياض، محمد براهيم، ص 15. العام 1413هـ، وما بعدها...

مجلة الاحياء
التعصب الفقهي بعض مفسري الفقهاء إلى اعتبار المشهور في المذهب هو الحق.
فخرجوا المخالفين لذلك، وطعناً فيهم ولو كان هذا المخالف إمامًا معتبراً.
لكن وجد من أعلام التفسير الفقهي من نظر إلى التراتب العلمي الذي خلقه
العلماء قبله بين الانصاف، واستفاد من مسائل الخلاف في استعراضه للأحكام من
غير تعصب، وفي مقدمة هؤلاء المفسرين الأعلام أبو عبد الله القرطبي ت. 671 هـ
مصنف الجامع لأحكام القرآن.
المبحث الثاني
تدرج التفسير الفقهي
تطور هذا الاتجاه مع تطور المذاهب الفقهية، ففي عصر نشأة المذاهب
المعروفة كان التفسير الفقهي يعني بالوقوف عند آيات الأحكام يستنبط مستنداً على
حسب قواعد المذهب (11).
وحين صارت المذاهب تقليداً - بعد عصر الائتمام - كان تفسير آيات الأحكام لا
يمخرج غالبًا عن طور تقليد آراء علماء المذهب أو الترجيح بينهما حال الاختلاف (12).
وعندما طغى التعصب، وصارت المذهبية الفقهية تعصباً أعماً لآراء مذهب معين
ظهر أكثر ذلك في التفسير الفقهي التي شحنها مؤلفوها بندق مخالفينً من العلماء
والنيل منهم (13).
وعندما تراجع التخصص في العصور المتاخرة كان فقهاء المفسرين من
المتأخرين والمعاصرين - يرون المذهبية اختلافاً فقهيًا يلزم به عالم معين، ومن ثم
اختفى التعصب الذي يؤدي بصاحبه إلى النيل من العلماء المخالفين، بل برت في
العصر الراهن الدعوة إلى اعتبار المذاهب الفقهية جميعاً متساوية يجب النظر إليها
والتعامل معها بما يحفظ حرمتها (14).

11. انظر أحكام القرآن الشافعي.
12. انظر أحكام القرآن للإمام الراجحي الشافعي.
13. نشر طيف خاص هذا التعبير عن الجاسوس في أحكام القرآن، كما نجد بعضه عند ابن العربي المعافي في أحكامه.
14. وهذه الخفية إنفرت بها أشهر التفسير الفقهي المعاصرة كروائع البيان الشافعي، وآيات الأحكام السابيس.
المطلب الأول: أشهر التفسير الفقهية

سبقت الاشارة الى ان تطور التصنيف في أحكام القرآن ارتبط بتطور المذهبة الفقهية حيث ظل الالتزام المذهبي حافزاً دفع بفقهاء المفسرين الى التصنيف في هذا الموضوع:

- إما بهدف الانتصار للمذهب نفسه في مسائل الخلاف.
- وإما لغاية جمع احكام مختلف المسائل في المذهب.
- وإما لانتقاد المذهب والرد على منتقديه (15).

واشهر ما وصل البينا أو وردت الاشارة إليه من كتب التفسير الفقهية:

1 - تفسير أبي نصر محمد بن السائب الكلبي ت 146 هـ. (16).
2 - الإحكام لبكر بن العلاء القشري المالكي ت 182 هـ. (17).
3 - أحكام القرآن للإمام الشافعي ت 204 هـ. جمعه من مصنفاته الإمام أبو بكر الببديق ت 458 هـ.
4 - أحكام القرآن ليحيى بن عبد الله بن بكر ت 231 هـ. (18).
5 - أحكام القرآن لبني الحسن علي بن حجر السعدية ت 242 هـ. (19).
6 - أحكام القرآن لابن اسحاق اسماعيل الإزدي البصري ت 282 هـ. (20).

وتوالي التأليف في الاحكام بعد القرن الثالث الهجري فصنف فيها من العلماء:

7 - أبو الحسن بن موسى القمي الحنفي ت 305 هـ. (21).
8 - أبو جعفر أحمد الطحاوي ت 321 هـ. (22).

15. انظر: م. الذهبي: التفسير والمفسرون ج 2 من 434 وما بعدها...
16. الداوودي: طبقات المفسرين ج 2 من 149 دار الكتب العلمية بيروت...
17. ابن فروخ: الإشاعات المذهب... ج 1 من 314 دار التراث القادرية...
18. ابن فروخ: المصنف السابق ج 2 من 259...
19. الداوودي: طبقات المفسرين ج 1 من 401...
20. الداوودي: المصنف السابق ج 1 من 106...
21. الداوودي: المصنف السابق ج 1 من 440...
22. الداوودي: المصنف السابق ج 1 من 76...
9. أبو محمد القاسم بن أحمد ت 430 هـ (23).
10. أبو يعلى محمد بن علي الجحاص ت 370 هـ (24).
11. أبو يعلي محمد بن الحسين الهنفي ت 458 هـ (25).
12. أبو عبد الله الباجي ت 474 هـ (26).
13. أبو الحسن علي بن محمد الكيا الهراشي ت 504 هـ (27).
14. أبو بكرو محمد بن عبد الله بن العربي المعاوфи ت 543 هـ (28).
15. أبو عبد الله عبد المنعم بن الفرس الغرناطي ت 597 هـ (29).
16. أبو عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي ت 671 هـ (30).
17. أبو العباس أحمد الحكبي ت 756 هـ (31).

وقد قام بعض فقهاء المفسرين بختصارات كتب الأحكام، وأشهر هذه المختصارات:

- مختصر أحكام القرآن لأبي محمد مكي بن أبي طالب الفقيسي ت 437 هـ (32).
- تلخيص أحكام القرآن لجمال الدين محمود بن أحمد بن السراج ت 770 هـ (33).

- على أن أكثر هذه المصنفات رواجا بين العلماء قديما وحديثاً: أحكام القرآن لأبي بكر الجحاص الحنفي، وأحكام لأبي يعلى الحنبي وأحكام القرآن للكيا الهراشي الشافعي و أحكام أبي بكر بن العربي المالكي، وأكثر هذه المصنفات موسوعة كتاب الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.

23. الداوودي، المصدر السابق ج 2 ص 36.
24. الداوودي، المصدر السابق ج 1 ص 56.
25. ابن كثير، البخاري والصحيحة 12 ص 949.95 دار الفكر بيروت 1398 هـ.
26. الداوودي، المصدر السابق ج 1 ص 203.95 دار الفكر بيروت 1398 هـ.
27. الداوودي، المصدر السابق ج 1 ص 385.
28. الداوودي، المصدر السابق ج 1 ص 436.
29. الداوودي، المصدر السابق ج 1 ص 167.
30. الداوودي، المصدر السابق ج 1 ص 363.
31. نفسه ج 1 ص 69.
32. الداوودي، المصدر السابق ج 1 ص 102.
33. الداوودي، المصدر السابق ج 2 ص 32.
34. الداوودي، المصدر السابق ج 2 ص 331.
المطلب الثاني: أثر المذهبية في التفسير الفقهي قديماً

إذا بحثنا عن تأثير المذهب الفقهي في تفسير آيات الإحكام عند المتقدمين، فإننا نصل إلى أنه كانت المذهبية أثار إيجابية وأخرى سلبية...

فمن الآثار الإيجابية للمذهب الفقهي في تفسير آيات الإحكام:

1. إن المذهبية وجهت التفسير الفقهي نحو الموسوعة، ظهرت هذه الخاصية من خلال مثير المسائل التي يعرضها المفسر، فهو يتبين اختلاف الفقهاء وأرائ الإثنا ومؤذن المجتهدين، ويجمع قضايا الخلاف العالي ومسائل الخلاف داخل المذهب الواحد مرجعًا ومفرعًا ومستنبتاً، وذلك أضحى بعض التفسير الفقهية موسوعة في الفروع تضاهي أمبات كتب الفقه.

ب. ومن الآثار الإيجابية للمذهبية في كتب أحكام القرآن تجليها للمفسر على تبتيم واستقصاء دقة المسائل، فكثيرا ما نجد فقهاء المفسرين يفرقون انطلاقاً من الحكم الذي تدل عليه الآية مسائل جزئية، يدفعهم إلى ذلك الحرص على الاستدلال لمختلف فتاوي المذهب أو مجرد الاستنباط الفقهي (34).

ج. ومن الآثار الإيجابية للمذهبية في كتاب التفسير الفقهي دورها في شرح فكر المفسر فيلاحاج على مختلف المسائل، فقد كان متقدم المفسرين المقتدين شديدًا الحرص على تدعيم فروع مذاهبهم والاستحالة لآراء، غير أن هذا الحرص يؤدي غالبًا إلى التفسر على المخالف وقد يؤدي أحياناً إلى إنصاف مذهب هذا المخالف (35).

غير أنه توجد أراء هذه الآثار الإيجابية المذهبية في تفسير آيات الإحكام آثار أخرى سلبية اهتم مختلف الدارسين المعاصرين ببارزها (36)، وكانت وراء ظهور هذه الآثار السلبية أسباب ترجع إلى:

34. وقد أبزر في هذا المجال فقهاء المفسرين الذين تصروا للنقية بين الناس...

35. يشعر النص يقول أن بعض الجراحات كما يفعل عليه أحكام القرآن. وقد يكون المفسر متفقاً أحياناً منصفًا أحياناً أخرى وهذا حال أبناء العرب في أحكام، وقد يقلل الأنصاف على المفسر كما هو حال القرآني.

36. نظر: التفسير والمفسرون للهادى ج2 ص 434. علم القرآن الكريم للد. البغدادي ع. ص 104، المؤسسة العامة لتفقيه القرآن الصغير من 122. مجلة الاحياء 1403هـ.
1 - طغيان روح التعصب الإسلامي على المفسر.
2 - الخروج بالنقد الفقهي من دائرة الخلاف الاجتماعي في دائرة النقد والطعن المجافين للمنهج العلمي.
3 - اعتبار فتاوى المذهب وأراء علمائه هو الحق وكل ما عداه باطل ولو أجمع عليه الجمهور.

ويمكن اختصار الآثار السلبية للفقهاء عند فقهاء المفسرين في مظاهر ثلاثة:

- التخالل على المذاهب المختلفة: ظهر هذا الأمر ببطيان التعصب الإسلامي.
- ابتُلاء من القرن الرابع الهجري: فكان متعصبُ مفسري الفقهاء يرون أن كل ما خالف مذهبهم باطل، وأن نصرة المذهب تأتي بقياسيات الانتصار لأرائه في مختلف المسائل، وهو أدى بهم ذلك إلى الشك أو النزاع من أعلام الأئمة (3).

- ومن الآثار السلبية كذلك التكلف في تقسيم الآيات التي تختلف المشهور في المذهب فحين تكون دلالة الآية واضحة أو يوجد لها تقسيم في صحيح الحديث النبوي، سيكون المشهور في فروع مذهب المتصب خلاف ذلك، بلجاً إلى التكلف في التنوير أو إلى ادعاء نسخ الآية أو تخصيصها، وقد يصل الأمر إلى رده الحديث الصحيح أو التشكيك فيه إنه كان شاهدا لمذهب المخالف (3).

- ومن هذه الآثار السلبية توسع المفسر الفقهي في مسائل بعيدة عن الآية نقلت بشأنها أراء من مجتهدي المذهب الذي تقلده فقهياً أو عقدياً - فنتج إلى تقرير المسائل والتوصي في الإحكام لغاية إدراك أراء مذهبه ضمن أحكام الآية وقد تكون تلك الآراء عريضة الفقة عن الإحكام (3).

37. اختلف تحليل الجماعين على الإمام في أحكام القرآن ج 2 ص 40 دار إحياء التراث العربي تفسير الآية (يساريون عن المعيب، فل هم
38. الإعاقة على الشامشي ج 3 ص 58 تفسير الآية (ولا ننكرو ما ينفقك من الناس)... وانظر كلام العجمي في أحمية ج 1 ص 446 تفسير (فلم تجدوا ما)... 39. اختلف مالك في أحكام الجماعين ج 5 ص 467...
39. عند تقسيم (وادا جزوجم بتحية فحيوا باحسن منها)... النسا 86 توسع ابن العربي في تقريره ليسترحل بذلك على وجه الطلب في الجهة.

الإحكام ج 1 ص 467...

مجلة الأحياء
المبحث الثالث
حاضر الاتجاه الفقهي في التفسير

ازدهر التفسير الفقهي وأبدع فيه مفسرو الفقهاء في القرنين التي شهدت انتاجاً علمياً متميزاً في مجال الفروع والخلاف العالي، وحين فترت الهمم وفسا التقليد بين العامة والعلماء توقفت عملية الإبداع في تفسير آيات الاحكام، وصرف المفسرون جهودهم للاهتمام بتراث المصطفين وانقطعت صلتهم بمصدر العلم الذي خلفه الائمة الأوائل.

واستمرت مرحلة الفتور من نهاية القرن السابع الهجري حتى بداية المرحلة الراهنة حيث انتهت جهود المعاصرين نحو محاولة إحياء الحركة العلمية التي أبدع فيها المتقدمون مصنفاتهم في شتى العلوم (40).

وكان التأليف في آيات الاحكام عند المعاصرين - يهتم بالاستفادة من المصادر العلمية القديمة مع الاحترام من السلبيات التي وقعت فيها طائفة من الباحثين بسبب إفراطهم في التكلف أو نقصهم المذهبي.

الطلب الأول: مؤلفات المعاصرين في أحكام القرآن

ارتبعت حل المؤلفات المعاصرة في التفسير الفقهي بالمюрقات الجامعية، فمع التوسع الذي شهدته التعليم العالي بمختلف الدول العربية وإنشاء مختلف الكليات والاقسام المهتمة بالعلوم الإسلامية، ظهرت الحاجة إلى مؤلفات مبسطة في علم التفسير تيسر تلقي هذا العلم على الطلبة.

وبحكم أن تدريس مادة التفسير كان موكلاً بالدرجة الأولى لكيت الشريعة، فقد تم التركيز على آيات الاحكام، واقتضت مناهج التدريس توزيع المادة العلمية على سنوات الدراسة، فاتجه بعض مدرسي التفسير بهذه الكليات إلى تهذيب وتنقيح محاضراتهم بعد أن جمعوا مادتها من المصادر خلال سنين التدريس.

وأقدم تأليف معاصر في آيات الاحكام كتاب «نيل المرام في تفسير آيات الاحكام» لـ محمد صديق القنولجي ضع 1307 هـ، وهو كتاب مبسط جدًا لم يؤلف لغاية

40. انظر: تاريخ التشريع الإسلامي، تعد بإشراف الشيخ السابق من 117، منشورات مكتبة صبيح، القاهرة.
استمرار...
الحصيلة العلمية للمؤلفين المعاصرين في الاحكام.

ولرجع أهم مميزات الاتجاه الفقهي إلى خمسة أمور رئيسية:

الميزة الأولى: جمع تراز المتقدمين وتنقيحه: يظهر ذلك بالعطاء على
كتبة أؤات الاحكام التي ألفتها المعاصرون، فقد استفادت هذه الكتب من مختلف
أمهات التفسير أثرية أو لغوية أو فقهية أو بيانية...

وكان يجهذ المعاصرين جمع المادة العلمية المرتبطة بالأحكام من مختلف
المصادر ثم ترتيبها وفق منهج معين، ومن ثم فالمؤلفات المعاصرة في التفسير
الفقهى اعتمد على ما خلفه المتقدمون من فقهاء المستويين كأؤات الاحكام للنصوص
وأؤات ابن العربيي ... كما استفادت هذه المؤلفات من أمهات التفسير اللغوية
والثورية، كالمحرر الوجيز لابن عطية، والبحت المحيط لأبي حيان، وجامع البيان
للطبري، ومعالم التنزيل للبغوي، واجتهد المعاصرون في اختيار المادة العلمية
وتنفيذيها وترتيبها وتقريبها من القارئ أو طالب العلم.

الميزة الثانية: الاهتمام بالفقه المقارن والنظر إلى اختلاف الأئمة
والعلماء على أنه اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد: درج ففاشل آئمة الفروع
على الاهتمام بالفقه المقارن، وتناولوا إلى قضايا الخلاف من خلال مبحث أسباب
اختلاف الفقهاء 43( فقد أثارهم إلى الانصاف والبعد عن التعدص المذهبي
الأعمى 44( وقد غاب هذا المنظور عن المتقدمين فسجروا أنفسهم في مشهور الآراء
والنوازش التي وصلتهم عن طريق متاحة المتقنين، كما أشار إلى ذلك الشاطبي رحمه
الله وغيره 45(.

وقد ظهر أثر هذا التقليد والتعصب في مطلع العصر الراهن، لكن قبيذ الله
للدراسات الشرعية من يوجهها وجهة علمية تتوخى الإنصاف وتتمتع التعصب المذهبي
العمى، وإذا وجد هناك مبرر للعالم والتعلم بأن يلزم مذهب معين من مذاهب آئمة
الاجتهاد، يجعل منه اختياره في الفروع، فليس هناك أدنى مبرر يستند إليه المنتصب
الذي يرى الحق مع مذهب فقط دون سواه من مذهب آئمة الإسلام.

43. من فاطم، هؤلاء الآئمة شهاب الدين الفراي ونائر كانًا الآخرين في الفقه.
44. من مصادر الفقه التي يدعى كتاب المعنى، مختار محتوى الفرقين لابن قدامة...
45. انظر كلام الشاطبي في "العاصمة" ج2 من 348 دار المعرفة بيروت.
ويعتبر شيخ الأزهر أحمد مصطفى المراغي رائد المعاصرين في الدعوة إلى تدريس الفقه المقارن أو الخلاف العالي، وكان يعرف أن تدريس هذه المادة لطلبة العلم الشرعي يؤهلهم لمعرفة أسباب الخلاف وفهمه...(46).

وقد اهتم المؤلفون المعاصرون في التفسير الفقهي بالخلاف واستفادوا منه في تقرير الاحكام، ومن ثم لم نجد أي واحد منهم ينتمي مذهبًا معيناً، فبالإضافة إلى ذلك، لاحظنا أن اهتمامهم بالمفتري على السيرة، سواء تعلق الأمر بالعذابات الأربعة السابقة أو غيرها من المذاهب الفقهية المتفرقة، ثمة يعودون إلى الترجيح إما عن طريق اختيار ما عليه الجمهور أو ما ترجح بالدليل.

الميزا الثالثة: الاقتصار على الظهر من أي القرآن وعدم التعرض لجزيئات المسائل والاحكام.

كان المتقدمون من المصنفين في أحكام القرآن يعتقدون مختلفاً ما يمكن أن يصبح نظام من الآية فيغرعون انساقاً من مسائلها أحكاماً جروية لنتعلل لا تشير إليها الآية مباشرة، وقد يكون المفسر الفقهي دقيقة في نظره، ففيه صيد من قواعد أصول الفقه لتقرير جزئيات الاستدلال على فروع لم يسبق إليها، كما قد يقوده التخصص، خلافاً لذلك، إلى التحميل والتكليف للاعتراض على افتراضات افترض بها المذهب الذي ينتزه به (47).

وحيين ننظر في مختلف الكتب المعاصرة في أحكام القرآن نجد مؤلفاتها يتوقفون غالباً عند بحث ما يفيده ظاهر الآية، ولعل هذه الخاصية ترجع إلى أن مؤلفات المعاصرين هي في جوهرها وغأيتها كتاب مدرسية تعليمية في حين كانت مصنفات الملتقيين تفسير علمية مستوعبة.

وكثيراً ما كان المعاصرون يحرصون على اختصار أمّ المسائل والأحكام المتضمنة في المصاداب، ثم يعرضون ما اختاروه بأسلوب بسيار مدارك طالب العلم، وناسب مستوى عامة الناس المثقفين الذين يعصر عليهم التعامل مع أمهات الكتب بما تضمنه من تقريطات واحتوت عليه من طرق استدلال.

46- تاريخ التشريع الإسلامي بإشراف الشيخ السايس من 130.
47- انظر على سبيل المثال استدلال إبن العارفي من علم أصول الفقه وفقه نظره عند تفسير قوله تعالى (وأنوا حقه يوم مصاد) الأ铮اعم 141.
48- في أحكام القرآن ج 5 ص 759 وما ينتمي إلى رأي أبي حنيفة والاحتجاج له، وانظر خلافة في تفسير قوله تعالى على آية الكلاسية عند تفسير قوله تعالى (وأعد الله الذين أنتموا منك). وعلى الصلاة بالنفس،也就是: أحكام القرآن ج 5 ص 191.
تحريمه (50) وعرضت لأغراض القرآن من وراء تشريع عقوبات الحدود (51) وغير ذلك.
أما مناقشة الشبهات فهي كثيرة في كتب المعاصرين، فقد ناقش المعاصرون من
المؤلفين في الاحكام ما يثير بشأن زوجات عليه السلام (52)، وما يتردد بشأن وجوب
الحجاب الشرعي على البالغات من الآثات (53) وغير ذلك.

ناتجة

اهتمت هذه الدراسة بإعطاء نبذة مختصرة ومستوعبة - قد الامكان - للاتهاج
الفقهي في التفسير: تاريخه ومميزاته، وكان الغرض من دراسة التفسير الفقهي عند
المتقدرين ابراز أصالة هذا الاتجاه، فخلافًا لباقي اتجاهات التفسير الأخرى، كان
الاهتمام بإحكام مقصد مختلف طبقات علماء الأمة، يستوكل في ذلك المفسرون والفقهاء
غيرهم... إضافة لما سلف، حرصت هذه الدراسة على اظهار أثر الخلاف العالي في
مصنفات المتقدمين، فما لا شكل فيه ان الدراس المتعلق على مختلف أمم كتب
أحكام القرآن، يعلم مكانة هذه الكتب بين مصادر الفقه والتشريع، بل ان بعض كتب
الاحكام صارت موسوعات في الفقه المقارن، وقد تعرضت هذه الدراسة لمؤلفات
المعاصرين في أحكام القرآن، مبرزة مختلف ما امتازت به التفسير الفقهية المعاصرة
على مستوى المنهج المتبوع وعلى مستوى المادة العلمية.

كما نبهت هذه الدراسة إلى أخص ميزة للتأليف المعاصرة وهي التحرر من
المذهبية الفقهية بفهومها الضيق التي يحمل صاحبها على التعصب، فقد كان
التعصب الفقهي الاعمي هو أكثر ما انتقد على مشاهير فقهاء المفسرين، لما يحملهم
عليه هذا التعصب... وآثار ذلك في تفسير آيات الاحكام، وقد ابتضض منهج
المعاصرين الابتعاد عن التعصب المذهبي، والنظر إلى الخلاف العالي على انه خالف
تنوع لخلاف تضاد، كما أن ظهور جُل التفسير الفقهية المعاصرة في رحاب
الجامعات، خاصة كليات الشريعة، ساهم في توجيه تفسير آيات الاحكام بعيدا عن
المذهبية فبأحري التعصب، والله تعالى أعلم وأحكم.